الفصل الثانى

باب الإذاعة

باب 4

بعد أن كتب الأستاذ عبد الوهاب مطاوع على ظهر الكارت الخاص به العبارة التى يوصى فيها رئيس الإذاعة بأن «من يحمل هذا الكارت يهمنى أمره» قمت من على الكرسى الذى أجلس فيه عن يمينه واقتربت منه وأخذت الكارت ووضعته فى الجيب القريب من إصبَعَىّ يدى الشمال، وكدت أطير من الفرح حتى إنى أردت أن أخرج لأعبر عن هذا الفرح بأية وسيلة. وهنا أذكر أن الأستاذ عبد الوهاب مطاوع قال لى عبارة لعلها كانت من تجربة له فى الحياة جعلته يعرف كيف يفكر الناس، وخاصة الذين يجلسون على المقاعد الوثيرة ويملكون منصة الأمر والنهى قال: «لا تظن الأمر سهلًا، لكن أنا واثق أنك قادر على النجاح».

خرجت من باب مؤسسة الأهرام فى شارع الجلاء وأنا أسرع خطواتى قليلًا وأحبس أنفاسى، وكأننى فى حلم، فمعى فى جيبى كارت أدخل به إلى رئيس الإذاعة، وأتذكر ماقاله لى الدكتور حسين فتحى من صداقة

الأستاذ عبد الوهاب برئيس الإذاعة، وظللت طوال الطريق الذى سلكته مشيًا على قدمى إلى موقف أحمد حلمى خلف محطة السكة الحديد أحلم بلقائى مع رئيس الإذاعة. وتمنيت وقتها أن يكون لى جناحان كى أطير بهما لكى أبشر والدى بما حدث فى هذه المقابلة، وهو الذى كان ينتظر رجوعى وقد أكله الصبر، وركبت السيارة وجرت عجلاتها إلى مزلقان قريتنا الصغيرة، فنزلت ومازال الفرح يملؤنى وتركت رجلاى للأرض تطويها طيًا حتى وصلت إلى البيت، فاستقبلنى هذا القلب الكبير، فلما أخبرته أخذ كعادته معى يسأل عن كل صغيرة وكبيرة ويعيد السؤال، فطمأنته بل وزدته أننى وجدت الرجل الذى أقرأ له فى بريد الأهرام هو نفس هذه الشخصية الهادئة الوقور التى تنعم بعقلها الوافر وقلبها الكبير الذى استقبلنى فيه وأعد لى فيه مكانًا استشعرته من خلال حواره معى.

وبدأ الوالد يعد ماذا ألبس غدًا، وكيف يكون الهندام مرتبًا وجميلًا، وكيف تكون معتزًا بنفسك وتقول لرئيس الإذاعة كل شىء عن حياتك، وظللنا سويًا ندبج الكلمات التى سأقولها غدًا ومعى جواز المرور وهو الكارت الذى أعطانيه الأستاذ عبد الوهاب مطاوع.. وبت هذه الليلة وأنا أفكر ماذا يحدث غدًا وما شكل الإذاعة من الداخل، هذا المبنى الذى ننظر له من الخارج فقط، هذا الذى نسمع منه جميع الإذاعات، ومنه يُرسَل مانراه على شاشة التليفزيون حتى غلبنى النوم. واستيقظت على صلاة الفجر، وبعد أن صلينا وجدت أبى وقد انتحى جانبًا فى المسجد يصلى فيه وقد رفع يديه فى مستوى منكبيه وأمال رأسه للأمام قليلًا وظل يدعو، فاستبشرت خيرًا بهذه الصورة المتبتلة التى اعتدت أن أرى عليها أبى وهو يدعو الله لى بالتوفيق. وخرجنا، وذهبت إلى صومعتى

على سطح بيتنا الريفى المطل على المسجد، وفتحت المصحف وأذكر أننى قرأت سورة ياسين وبعض السور.

وتمم أبى على شكلى وهندامى قبل أن أخرج فى مهمتى، فقد كان دائمًا ما يؤكد علىَّ أن يكون ما ألبسه منظمًا حتى لا يكون مدعاة لعطف أحد أو مثارًا للمسكنة ومصمصة الشفاه، وماتعلمته فى صغرى أن هذه من الكبائر التى لا تغتفر عند أبى حفاظًا على ما زرعه فى نفسى منذ وعيت. فلما استوثق من أن «أبو الريض» ـ كما كان دومًا يناديني ـ على ما يرام، قال: «توكل على الله»، فركبت حتى وصلت أول شارع الجلاء وأخذت أمشى بهدوء حتى نهايته، فوجدت بناية كبيرة فسألت فقيل لى هذا فندق هيلتون رمسيس، فسلكت هذا الشارع حتى نهايته.

وصلت إلى باب 4، ذلك الباب الرئيسى الذى كان مشهورًا جدًّا بهذا الاسم فى هذا الوقت، ووجدت على يمين الداخل من هذا الباب صالة كبيرة امتلأت عن آخرها بالناس، وأغلبهم يحمل أوراقًا وعلى وجوههم ترتسم الحاجات التى جاءوا لعرضها، فوجوههم تشى بتواضع الحال، على أن قلة منهم كانوا ضيوفًا على الشاشة أو أمام الميكروفون، يظهر ذلك من شياكة الزى وربطات العنق الأنيقة. أما على يسار الداخل من الباب فما زلت أذكر هذه الكراسى ذات الأرجل الطويلة التى يجلس عليها موظفو الأمن، وكانوا أربعة ينظرون فى تصاريح الدخول للعاملين فى المبنى وينادون على الزوار الذين جاءهم تصريح الدخول الخاص بهم. عندما رأيت هذا المنظر أخذنى بعض الخوف ألا أستطيع الدخول مع هذا العدد الكبير من الناس وهذا الصف الذى ينتظر دوره أمام الكراسى ذات الأرجل الطويلة، ولكن أخذت مكانى فى الصف

ومرت علىَّ الدقائق ثقيلة، حتى صرت وجهًا لوجه مع موظف الأمن الذى مال بظهره حتى التقط من إصبعى الكارت وقال لى: مكتب رئيس الإذاعة، فقلت: نعم، فنظر إلىَّ نظرة لاتخلو من كرم وود ثم قال لى تفضل المكتب فى الدور الخامس بعد أن تصعد على السلم شمالًا، وكانت هذه أول خطوة تخطوها رجلاى إلى ساحة الإذاعة التى سأعطيها زهرة عمرى ونتاج فكرى وجهد نفسى وعطاء روحى، كانت هذه هى الخطوة الأولى التى وجدتنى فيها فى هذا البهو الواسع الذى يحتوى الداخل إلى هذا المبنى العريق.

صعدت شمالًا حتى رأيت فى الدور الثانى منطقة الاستديوهات، وفى الدور الثالث على اليمين ووقعت عيناى على لوحة على أول طرقة طويلة مكتوب عليها «إذاعة صوت العرب» فتذكرت أمينة صبرى ونجوى أبو النجا وأمين بسيونى، ثم صعدت عدة سلالم فى الطابق الرابع فرأيت لوحة مكتوب عليها «الشبكة الرئيسية» وهى إذاعة البرنامج العام فتذكرت أبلة فضيلة وعمر بطيشة ونادية صالح.

ثم وصلت إلى الدور الخامس حيث مكتب رئيس الإذاعة، فدخلت المكتب، فوجدت ثلاثة مكاتب، فواحد يرد على تليفونات، والثانى يكتب على الآلة الكاتبة، أما المكتب الثالث فيقف أمامه رجل يبدو من شكله ومن طريقة كلامه أنه صعيدى، وجهه بلون الأرض السمراء يبدو عليه علامات الطيبة مما يخرج من فمه من عبارات المجاملة اللطيفة فى التليفون الذى كان يمسك به، وكان فى الغرفة عدد قليل من الناس لعل لهم مالى من حاجة عند رئيس الإذاعة، فتجاسرت بعدما وضع الرجل سماعة التليفون واتجهت إليه مباشرة رافعًا رأسى واضعًا الكارت فى

إصبعى يدى الشمال، فلما رآنى متجهًا إليه رمى إلىَّ بعينيه فاتحًا وجهه ببسمة خفيفة، فأعطيته الكارت وقلت هذا الكارت من الأستاذ عبد الوهاب مطاوع، فقرأه ثم قال لى: اتفضل يابنى اجلس قليلًا. ثم دخل إلى مكتب رئيس الإذاعة ثم خرج وماهى إلا لحظات قليلة حتى نادانى وفتح لى الباب.

وجدت نفسى فى غرفة رئيس الإذاعة، غرفة واسعة ستائر نوافذها عريضة ومنقوشة، وعلى شمال الداخل مائدة طويلة يبدو أنها للاجتماعات، وفى مواجهة الداخل إليها مكتب فخم يجلس عليه رئيس قطاع الإذاعة، فخطوت خطوات وأنا متهيب للموقف قليلًا، حتى وقعت عينَىَّ على هذا الرائد الإذاعى الكبير «الأستاذ فهمى عمر» الذى كنا نستمتع به فى التعليق على مباريات الكرة ثم هو تاريخ طويل فى الإذاعة المصرية منذ بواكير إنشائها، فهو الذى كان مذيع الهواء وقت أن جاء السادات يذيع بيان ثورة يوليو، وتاريخه فى الإذاعة مسطر فى برامجه وإسهاماته العظيمة فى هذا المجال. كان واقفًا عندما دخلت لأنه كان يكلم واحدًا من ضيوفه الذين يجلسون معه فى الغرفة، ووجدت الكارت فى يده يقرؤه بعد ما قطع الكلام مع ضيفه، ثم نظر إلىَّ وحملت عيناه علامات الاستفهام، مما جعلنى أبادره أن الأستاذ عبد الوهاب مطاوع أرسلنى إلى حضرتك بهذا الكارت، فنظر إلى ثانية وكأنه يتساءل وماذا سيعمل هذا، فبادرته بالإجابة التى يمكن أن تكون إجابة عن سؤاله الذى يتردد فى أنحاء نفسه وقلت: حضرتك أنا خريج كلية الحقوق وأتقن اللغة العربية وحافظ لمعظم القرآن، فرفع عينيه عجبًا ثم قال لى عبارة أصابتنى ببعض الخوف، لعلها تكون فى النفس دون أن تُعلن، لكنه أعلنها فى وجهى صراحة وقال: وأنت هاتشتغل إيه؟

فرددت بعفوية: مذيع.

فارتسمت على وجه الرجل صورة من العجب نطقت بها عيناه وقال: مذيع إزاى.

ولم يعط لى فرصة لرد آخر، ولكنه كتب لى ورقة وقال: انزل إلى «الأستاذ عطية السيد» فى الدور الثالث، واتجهت نحوه فناولنى الورقة التى كتبها بيده. ولم أدر من هو عطية السيد؟ وهل وافق أم لم يوافق؟ وهل نجحت المقابلة أم لا؟ كل هذ دار فى نفسى فى نفس اللحظة. وبدأ الأستاذ فهمى عمر يرجع إلى ضيوفه الذين قطعت حديثه معهم، فلم أستطع أن أسأل، فأدرت وجهى والفضول يقتلنى للسؤال عن الشخص الذى أرسلنى إليه إلى أن خرجت، فاستقبلنى مدير مكتبه صاحب الوجه الأسمر ذو السمت الطيب، استقبل وجهى بابتسامة عريضة وأمسك الورقة وبمجرد وقوع عينه عليها قال: انزل الدور الثالث للأستاذ عطية فى إدارة التدريب، فأدركت أن هناك شيئًا ما سيحدث ما دام أنها إدارة للتدريب.

نزلت وأنا أدعو ألا يخذلنى الله وأن يوفقنى، وما هى إلا سلالم قليلة حتى كنت أمام لوحة «إذاعة صوت العرب» فى الدور الثالث، حيث كانت إدارة التدريب فى مكاتب إذاعة صوت العرب، فدخلت وسألت على الأستاذ عطية ومكتب إدارة التدريب فَدَلُّونى، فذهبت لأطرق على باب الرجل وأطرق فى نفس اللحظة على أبواب غد سيصبح فيه صوتى محمولًا على موجات الهواء، لكن بعد أن تهيأ قلوب البشر وعقولهم، وبعد أن أنال حظى من العذاب المقرر فى كل شأن من شئونى أكون فيه محل اختيار، وكأنه كتب على ألا أحصل على حقى إلا بهذا القدر من العذاب والعنت.

أخصائى متابعة برامج وعجلات المترو!!!

رجل وجهه يبعث لمن يراه شعورًا بالهدوء، بسمته الخفيفة التى لاتفارق وجهه علامة عليه، صوته الذى ينطق به الكلمات هامس خفيض، عندما يتكلم ينز أدبًا ويهطل منه مطر المودة وغيث المروءة، هذا هو الأستاذ عطية السيد مدير عام التدريب، ثانى شخصية أقابلها بعد رئيس الإذاعة، والأوصاف التى بدأت بها هذه الفقرة هى ما عاينته فى هذا اللقاء مع هذا الرجل. فعندما دخلت عليه ومعى الورقة التى أرسلنى بها الأستاذ فهمى عمر رئيس الإذاعة قرأها ثم رحب بى بترحيب فيه ود ظاهر وكأنه يعرفنى، ثم سألنى عن المؤهل فقلت له ليسانس حقوق، ثم سألته ـ لأننى للآن لا أعرف ماهو الموضوع ـ مستفسرًا بسؤال يبدو أن فيه شيئًا من التجرؤ: هل أنا سوف أعين مذيعًا؟ فانقلبت البسمة الخفيفة على وجه الرجل إلى قهقهة مسموعة وقال لى: أنت مستعجل قوى، فضحكت ثم سألته: هل سيتم تدريبى؟ لأنى أرسلت إلى إدارة التدريب.

شرح الأستاذ عطية الأمر وقال: إن التدريب يتم لمدة ثلاثة أشهر كاملة ثم يجرى امتحان للجميع حتى يتم التصنيف لكل واحد من المتدربين بين مذيع أو مقدم برامج أو معد برامج أو محرر، ثم نظر إلىَّ وقال فى هيئة سؤال «حال اللغة العربية»؟ فقلت: تمام، فأمسك بجريدة الأخبار وكان فيها خبر عن زيارة السلطان قابوس لمصر وقال اقرأ هذا الخبر، فقرأته فقال: أداء جميل ولغة سليمة. ثم أمرنى بأن أذهب إلى سكرتارية التدريب حتى يقوموا بعمل تصريح دخول لمدة أسبوع حتى يتم عمل كارنيه الدخول الخاص بى، وأنا أكاد لا أصدق نفسى، وغادرت الرجل الذى استقبلنى بكامل الإنسانية وموفور الأدب، هذا

الرجل الذى سنشهد له فى محطات الحياة القادمة مكانًا مهما، حينما أكون مذيعًا فى إذاعة القرآن الكريم وهو رئيسها، ومواقف تؤكد تمامًا مايحمله قلبه من خير وعقله من فكر.

خرجت من الغرفة إلى غرفة السكرتارية المقابلة، وكان بها أطيب من عرفت من البشر؛ «الأستاذ حسن عطية» الذى قام قبل أن أتكلم وسألنى ماذا أريد، فقلت إن الأستاذ عطية السيد طلب أن يُعمل لى تصريح، ففوجئت به يهنئنى فتعجبت، فأحس بما اعترانى من عجب، فأكد لى ما قاله الأستاذ عطية من إن الجميع فى آخر التدريب يعينون لكن الفرق يكون فى الاختيار بين مقدم برامج أو مذيع، وهكذا طمأن قلبى، وطلب منى البطاقة الشخصية وأمر بنتًا شديدة الطيبة والأدب تساعده أن تقوم بعمل التصريح من الأمن. وجلست بجانب هذه الشخصية الجميلة التى يعرفها كل المذيعين لأنهم مروا على إدارة التدريب، وأخذ الرجل يزودنى بالمعلومات عن التدريب، وأنه سيكون فى استديوهات الإذاعة فى الدور الثانى، والذى يقوم بالتدريب هو الأستاذ عطية السيد مدير إدارة التدريب.

وأثناء كلامى مع الأستاذ حسن عطية دخل رجل قصير القامة يلبس جاكيت يميل إلى اللون الأخضر وحول عنقه كوفية من الصوف وألقى السلام، فعرفته، إنه الإذاعى العملاق الأستاذ صبرى سلامة وكان قد خرج على المعاش، فسلم وذهب، لكن جلست معه فى هذه الغرفة بعد ذلك مرات قليلة، وكنت متهافتًا فى سؤاله عن تاريخه فى الإذاعة وعن مواصفات المذيع الناجح، وكانت فرصة أن ألتقى مع صاحب الصوت المتفرد ذى النبرة المميزة فى تاريخ الإذاعة المصرية والذى حكى لى عن

شعوره عند إلقاء بيان انتصار مصر على إسرائيل فى حرب أكتوبر.. وجاءت السكرتيرة بالتصريح الذى أدخل به الإذاعة لمدة أسبوع لتبدأ المرحلة الأولى من رحلة العذاب فى سبيل الوقوف أمام الميكروفون...

ورجعت إلى البيت، فتحول البيت إلى فرح بعدما حكيت كيف سيكون التدريب لمدة معينة ثم نصنف بعد ذلك. وكعادتى، جهزت نفسى جيدًا، فأتيت بكتاب للنحو كانوا سلموه لنا فى أول المرحلة الثانوية باسم القواعد الأساسية فى النحو والصرف، وقرأته جيدًا بالإضافة لما عندى أساسًا من خلفية واسعة، كما أعدت قراءة كتاب «شذور الذهب فى النحو» لابن هشام، وأجريت عملية تنشيط لمكامن اللغة العربية التى كنت ومازلت أعشقها.

ذهبت إلى التدريب الذى كان فى أستوديو 22 أو 24 فى الدور الثانى، وكان عبارة عن نشرة أخبار قديمة نقرأها، ثم يقوم الأستاذ عطية السيد بالتصحيح، وكان معى من الزملاء الذين أصبحوا نجومًا فى جميع الإذاعات بعد ذلك «علا ناصف ومحمد ناصر» من البرنامج العام، ومن الشباب والرياضة «صلاح بدران وكمال جابر» وغيرهم كثير. وكان العدد فى نهاية الدورة حوالى خمسة وثلاثين شابًا وفتاة. وكان الأستاذ عطية شحيحًا فى إبداء الرأى، ومع ذلك فقد شكر فى أدائى وأثنى على الالتزام بقواعد اللغة، فأبديت رغبتى أننى أريد أن أذهب إلى إذاعة القرآن الكريم، فقال لى على سبيل المجاملة أنت تذهب للمكان الذى تريده، لكنه أكد هذه الإجابة عندما قال: مستوى اللغة عندك يخدمك فى هذا..

وبعد فترة التدريب التى امتدت حوالى ثمانين يومًا، تقرر إجراء

الامتحان. وفى هذه الفترة كنت شديد الثقة بنفسى، ولم أدر أن الصورة عند السادة الممتحنين مختلفة تمامًا وأن الشكل الخارجى سوف يهتك أستار هذه الثقة، بل سيرمى بها فى بحور من رجعية إنسانية تعامل البشر على أساس الشكل وليس للقلب ولا للعقل سبيل إليهم. كان الامتحان فى الدور السابع فى أستوديو 45 الكبير، وبدأ كل واحد منا يدخل وأمامه الميكروفون، وعلى منضدة صغيرة توجد مجموعة من النشرات تمسك بإحداها لتراجعها ثم يعطونك الإشارة فتبدأ فى قراءتها، ثم يُطلب منك أن تقرأ بعض آيات من القرآن، ثم تقرأ خبرًا من الإجيبشان جازيت، ثم تقرأ بيتين من الشعر، ثم تذهب لهم فى غرفة البث حيث يجلسون.

وجاء علىَّ الدور، فلم أدر ماذا حدث لأننى لاأراهم جيدًا، فطُلب منى أن أقرأ فقرأت خبرين ثم قرأت القرآن دون ترتيل قراءة إذاعية وقرأت خبرًا بالإنجليزية وبيتين من الشعر مما كنت أكتبه فى هذا الوقت ولم يُطلب منى أن أذهب إليهم لمتابعة الأسئلة، وكان ذلك لافتًا جدًّا للنظر، لماذا أنا بالذات؟ اكتفوا بقراءة الأستوديو ولم يتابعوا باقى الأسئلة! وهى مرحلة مهمة فى تقدير الدرجات حيث يُسأل فى النحو ويُسأل فى المعلومات العامة ويُسأل فى أشياء أخرى. فقلت علهم يريدون أن يميزونى عن زملائى، ولم أكن أعرف ولاخطر ببالى أنهم أرادوا أن يقضوا على الحلم داخلى، وأرادوا كذلك أن يبخسونى حقًا لى باعتراف من قام بتدريبنا لمدة ثمانين يومًا.

وبعد أيام كنت أنا وأبى ـ رحمه الله ـ نحاول أن نلتمس المبررات للممتحنين الذين اكتفوا بالقراءة فقط، وخاصمنا النوم فى هذه الفترة إذ لم نكن مطمئنين. ثم جاء أحد أصعب أيام حياتى، ذلك اليوم الذى حدثت

فيه حادثة كادت تقبرنى فى مقابر قريتى الصغيرة، وكأنها كانت تمهد لما أنا مقدم عليه من صدمة. وقعت هذه الحادثة عندما ركبت فى هذا اليوم مترو مصر الجديدة من ميدان رمسيس. إلى نهايته أمام هيلتون رمسيس وفى اللحظة التى يُفتح فيها الباب قبل أن يقف المترو زلت يدى وكتفى الذى كنت أستند به إلى القائم المجاور، فإذا بى أجد رأسى وكتفى على الأرض، ولولا لطف من الله لكان جسمى تحت عجلات المترو إذ كان بينه وبين العجلات بعض السنتيمترات القليلة ورحت فى إغماءة من أثر ارتطام جسدى بالأرض، وأفقت على صوت من أنقذونى، وظللت أمشى إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون وكأنى تائه حتى وصلت إلى الباب. وانتبهت أن هذا اليوم هو يوم إعلان النتيجة التى كانت بشائرها غير مطمئنة.

صعدت إلى الدور الثالث حيث الأستاذ حسن عطية الذى أخبرنى وهو حزين جدًّا بأننى قد صنفت أخصائى متابعة برامج، فأحسست بروحى تنسل منى وبالأرض تلف بى، فجلست بجانب الرجل فهدأ من روعى وأخذ يقول لى كلمات فيها أمل، لكنه عجب من النتيجة لأنه كان من المعلوم أن ثلاثة سيذهبون حيث يريدون، منهم اثنان ذهبا مذيعين فى البرنامج العام، ورضا كان ممن يستحقون وكان موعودًا بإذاعة القرآن الكريم، ثم أشار علىَّ الرجل بالذهاب إلى الأستاذ عطية وهو الآن فى أستوديو 24 مع مجموعة تدريب. فذهبت وقد دل وجهى على ما فى نفسى من هم، وبمجرد أن فتحت باب الأستوديو حتى نظر إلىَّ بعض المتدربين نظرة تشير إلى مكانه، وسألت الأستاذ عطية عن النتيجة وهو الذى قال لى من قبل أنك ستذهب إلى المكان الذى تريده، فرد أحد المتدربين بأن الأستاذ عطية قد شهد فيك بما يعرفه عنك وأنه قد قص علينا حكايتك

قبل أن تدخل، وطلب منى الأستاذ عطية أن أذهب إلى مكتب رئيس الإذاعة وأقابله.

وكان هذا اليوم هو آخر يوم فى حياة الأستاذ فهمى عمر الوظيفية، وكان وقتها يسلم المسئولية للأستاذ أمين بسيونى كرئيس الإذاعة، طلبت الدخول على الأستاذ فهمى عمر وقلت له: أنا ظُلمت والأستاذ عطية الذى قام بتدريبنا يعرف مستواى جيدًا، وبعدين لما إنسان عادى يظن أن الإعاقة نهاية الدنيا فهذا نعذره لكن حرام أن تسجن أصحاب العقول الكبيرة نفسها داخل سجن اسمه الإعاقة، لماذا لا أعامل كزملائى وأنا أستطيع أن أفعل كل شىء، فتبرم الأستاذ فهمى عمر من كلامى وتغير وجهه غضبا، فأخذنى الأستاذ أمين بسيونى إلى الباب وربت على كتفى وخرجت، وذهبت مرة ثانية إلى الأستاذ عطية فى مكتبه الذى كان متعاطفًا جدًّا معى والذى سبق أن قال ما يرضى ضميره لكنه لم يستطع التأثير على لجنة الامتحان وعلى رئيس الإذاعة، فلما دخلت عليه الباب واسانى وقال لى هناك فرص أخرى. ومن تصاريف القدر أن الرائد الإذاعى الكبير الأستاذ فهمى عمر شاهد بعد عدة سنوات برامجًا تليفزيونًا استضافنى بعد أن أصبحت مذيعًا فى إذاعة القرآن، ثم تصادف أن رآنى فى طرقات الدور الثانى فنادى علىَّ وقال لى لقد أعجبت بك فى البرنامج التليفزيونى، فلم أشأ أن أُذكره بما حدث من قبل.

أرسل لى الأستاذ عطية وذهبت إليه فى مكتبه فوجدت معه رجلًا ذا شعر أبيض وسمين الجسم ووجهه الأبيض المشرب بحمرة يشعرك أنه من دول الغرب، كان هو «الأستاذ عبد المجيد شكرى» الذى عرف قصتى من الأستاذ عطية السيد وعرض علىَّ العمل فى إذاعة وسط الدلتا

ووعدنى أنه سيتيح لى تقديم البرامج حتى تثبت لهم أنك تستطيع أن تنجح، ثم تطلب نقلك بعد ذلك، ووجدتها فرصة لكن لم أستسلم بسهولة، وحاولت لكنى وجدت كل الأبواب موصدة والقلوب مقفلة والعقول فى سباتها العميق والرحمة تنادى هل من مغيث يغيث هذا الذى يقتلون حلمه الوليد.. ولا أنسى فى هذه الأوقات موقفًا لأبى ـ رحمه الله ـ عندما قال لى إننى سأطلب لقاء رئيس الإذاعة وسأقنعه بأنك صاحب حق وأن من دربك هو من قال هذا، فكيف لايعطيك حقك، وكنت أراقبه كى لا يفعل خوفًا عليه من كلمة يسمعها لاتليق، وأنا أربأ به أن يناله أى أذى نفسى مما قد يقدم عليه، وظللت أقنعه بخطتى أننى سأذهب إلى إذاعة وسط الدلتا لفترة من الوقت وعينى على القاهرة. وكانت إذاعة وسط الدلتا هى الموئل لعامين تاليين ظللت فيهما كمن يكمن فى الأحراش لكى لاتضيع منه فرصة العودة للديار التى يهواها ويهيم حبًا فى هواها.

إذاعة وسط الدلتا

هذه الإذاعة ضمن الإذاعات الإقليمية التى أُنشأت من أجل تنمية المجتمعات، وقد أنشئت إذاعة وسط الدلتا عام 1982 فى مدينة طنطا لتخدم خمس محافظات حولها؛ وهى الغربية والشرقية والمنوفية والدقهلية وكفر الشيخ ودمياط، وكانت عبارة عن أستوديو واحد للتسجيلات وأستوديو للبث على الهواء. والدور الثانى من الإذاعة به غرفتان؛ غرفة للموظفين الذين تضيق بهم والغرفة الأخرى للمذيعين ومقدمى البرامج. وكان ذلك أسلوب صفوت الشريف؛ أن ينشئ إذاعات تُضَم إلى أسطول إعلامه الذى كانت وظيفته الأساسية تلميع النظام السياسى

وبيان الإنجازات العظيمة التى منها إذاعة للبث على الهواء بلا أدنى إمكانيات، وإن كانت هذه الإنجازات بأعدادها الوهمية ترفع أسهم السيد الوزير السياسية فلا عزاء للإعلام الذى يحترم نفسه ولا للكلمة التى ينبغى أن نحافظ على قداستها. فماذا يفعل أستوديو واحد لأكثر من حوالى عشرين مذيعًا ومقدمًا للبرامج فى مبنى لايجد فيه المعد أو المذيع مقعدًا ليكتب عليه برامجه، وعليه أن يعتمد على نفسه فى كل شىء.

ومع كل هذا، فمنذ أطلق الزميل المبدع والصوت المثقف والشاعر «الأستاذ زينهم البدوى» أول شعار لإذاعة وسط الدلتا وهى تؤدى دورها فى خدمة المجتمع الذى وُجدت به. ذهبت إلى تلك الإذاعة فى سنة 1988 بعد ما أُحيل بينى وبين تحقيق حلمى، وظننت أننى سأكون هناك مطرودًا، ولكن وجدت إذاعة تحتوينى وتعطينى الفرصة مع مجموعة من المذيعين ومقدمى البرامج المبدعين الذين أرسلوا رسالات إعلامية محترمة لأهالى البلاد التى كانت تخدمها هذه الإذاعة، هؤلاء الذين أصبحوا بعد عدة سنوات نجومًا فى إذاعات القاهرة.

فمن إذاعة وسط الدلتا خرج المبدع الشاعر «صلاح جمال الدين» ليضىء بصوته وبلغته الفصيحة أجواء النفس الإنسانية فى إذاعة القرآن الكريم، و«محمد عويضة» ذلك الصوت الهادئ الرصين العميق الذى أصبح أحد أهم الإذاعيين فى إذاعة القرآن الكريم، وأصبح فيما بعد رئيسًا لشبكتها، و«محمد فؤاد» هذا المثقف صاحب البرامج الهادفة الذى أصبح من مذيعى القرآن الكريم.. كل هؤلاء كانوا نجومًا أضاءت سماء إذاعة وسط الدلتا وبقى فيها مجموعة رائعة من المذيعين؛ الأستاذ «السيد كامل» الذى كان يقدم برامج دينية غاية فى المهنية حيث يستضيف ضيوفه بعناية وكان شديد الإخلاص فى عمله، والأستاذ «عبد الفتاح غنيم» هذا

الإذاعى الكبير الذى كان يقدم برامج المنوعات على طريقة إذاعة الشرق الأوسط مع الإذاعية «هناء أبو العلا» التى انتقلت بعد ذلك إلى إذاعة الشباب والرياضة وأصبحت إحدى نجومها. وكان هناك صوت يصلح لأن يعمل فى أية إذاعة كبيرة بل أجنبية، هو صوت الأستاذ «ضياء الدين عبد اللطيف» الذى كان صوته هادئًا لكنه قوى ومعبر ولغته سليمة تمامًا، وكان يقدم جميع أنواع البرامج ببراعة، وكان مذيعًا للهواء و للإذاعات الخارجية لايبارى سواء الدينية كصلاة الجمعة أو السياسية التى كانت تُنقل للمحافظين أو الحفلات التى كانت تنقلها الإذاعة فى ذلك الوقت.

أما البرامج التى كانت تتناول حياة الفلاحين والمزارعين والقضايا التى تهمهم فالاهتمام بها لم يكن على المستوى المطلوب ولم تكن تُسنَد إلا لمقدمى البرامج الأقل كفاءة، بالرغم من أن عمل هذه الإذاعات الأساسى هو عرض مشكلات هذه المجتمعات الزراعية والحرفية، وهذه هى الفلسفة التى أُنشئت من أجلها.

وعندما بدأت عملى فى إذاعة وسط الدلتا كنت أتحسس الخطى، فالكل ينظرون إلىَّ بنظرة فيها شىء من التعجب والتساؤل، ولكن فى أحد الاجتماعات عرفهم الأستاذ عبد المجيد شكرى بى وأنى سأعمل مقدمًا للبرامج وأثنى علىَّ بما عرفه من الأستاذ عطية السيد، فأزال بذلك جفوة اللقاء الأول بينى وبين زملائى الذين ائتلفت معهم بسرعة شديدة.

وكانت أول مرة فى حياتى الإذاعية أمسك بميكروفون وأحمل جهاز كاسيت بعد استلامى العمل ببضعة أيام، وكانت الإذاعة تتيح لمن لم يُصَنَّف أن يعمل مذيعًا أو مقدم برامج لأن أحدًا. لا يحاسب أحدًا ولأنها بعيدة عن مبنى ماسبيرو فقد كلفت بأن أسجل لقاءً إذاعيًا من

كلية الآداب جامعة طنطا لجريدة وسط الدلتا، وهى جريدة صوتية تذاع فيها الأخبار المتعلقة بالمحافظات الخمس بما تحويه من محليات وجامعات ومدارس وصحة وغيره وكلفت فى هذا اليوم بالتسجيل مع الأستاذ على الشوربجى المسئول عن مركز خدمة الطلبة المعاقين فى جامعة طنطا والذى كان مقره فى كلية الآداب، فحملت الكاسيت الذى كان ثقيلًا جدًّا على كتفى بعد أن أدخلت رأسى تحت حزامه وأمسكت بالميكروفون بين إصبعى يدى الشمال ووضعت شريط الكاسيت فى مكانه ليكون جاهزًا للتسجيل بمجرد أن أذهب إلى المركز.

ووصلت إلى كلية الآداب وبدأت العيون تلاحقنى حتى دخلت إلى مكتب الرجل ذى اللحية السوداء التى يتخللها بعض الشعر الأبيض، والذى رحب بى وزاد ترحيبه عندما رأى أن من جاء يجرى اللقاء عن المركز واحد من هؤلاء الذين يخدمهم المركز، وكان الرجل شديد الأدب وافر الذوق، أجريت معه اللقاء بأن جلست على كرسى وفى يدى الشمال أحمل الميكروفون الذى كان طوله حوالى خمسة عشر سنتيمترًا وجلس الضيف على شمالى بحيث كان الميكروفون بيننا. نجحت تجربة المرة الأولى التى اشتملت على أخبار المركز، لتفتح الباب لحمل صوتى طوال رحلتى الإذاعية فى وسط الدلتا ثم فى إذاعة القرآن الكريم.

كان هذا اللقاء هو أول اختبار عملى لى على استخدام الميكروفون وتشغيل الكاسيت، حيث كان الكاسيت يشبه جهاز الراديو تمامًا ويسكن الشريط فى مكانه وقد وضعته قبل أن أصل إلى المركز، وفوق الشريط مجموعة من الأزرار، واحد منهم مكتوب عليه play وآخر بجانبه مكتوب عليه record، وللتسجيل لابد أن تضغط على هذين الزراين معًا فى وقت واحد فأمسكت بالقلم بفمى وضغطت على

زرار منهما وضغطت بإصبعى يدى الشمال على الزر الثانى، ثم اتجهت بوجهى إلى الرجل الذى استعد بدوره بعدما عرضت عليه مادة الحوار بينى وبينه، واستمر الحوار حوالى عشر دقائق، وبعدها طرت إلى الإذاعة ومعى غنيمة الظهور الأول لصوتى فى فضاء الإذاعة وأنا وأبى وإخوتى مشتاقون لهذا الظهور، وأصبحت هذه العشر دقائق بعد القص والمونتاج الذى بدأت أتعرف على أبجدياته مع فنى الصوت خمس دقائق.

تركت الإذاعة فى نهاية اليوم وأنا فى غاية الفرح، وجلسنا جميعًا فى هذا اليوم فى البيت بجانب الراديو ليعلن المذيع المكلف بتقديم الجريدة الصوتية ويقول: وهذا الخبر من مركز خدمة المعاقين عن الخدمات التى يقدمها المركز للمعاقين، وقد أجرى الزميل رضا عبد السلام هذا اللقاء لنتعرف على أهم الخدمات.

وهكذا خرج الصوت على الرغم من منعه، وقد أوفى عبد المجيد شكرى بوعده لتبدأ المسيرة. وكانت الزميلة العزيزة «فجر الفضاء عباس» تقدم برنامج بعنوان «بسمة أمل» كانت تستضيف فيه أصحاب الحالات الخاصة من المعاقين الذين نبغوا فى عملهم، وكنت ضيفًا من ضيوفها وأنا فى السنة الثالثة فى كلية الحقوق، ولم أكن أعلم أن القدر سيكتب فى صحائفه أننى يومًا سأتولى تقديم هذا البرنامج، فالزميلة فجر قد نُقلت إلى القاهرة فى إذاعة الشباب والرياضة، وإذا بالبرنامج يتدحرج فى حجرى بعد أن طلبنى الأستاذ عبد المجيد شكرى وعرض علىَّ البرنامج، فوجدتها فرصة لى لاتعوض، وبهذا البرنامج بدأت ملامحى تتشكل كمقدم برامج يعرف ماذا يريد، حيث جبت آفاق الجامعات وبحثت عن النماذج الرائعة للحالات الخاصة التى لايعرفها أحد. وأذكر أننى سجلت وقتها مع أستاذ كفيف فى

كلية الآداب، هو الدكتور محمد فتحى الذى كان أستاذًا فى الأدب العربى، وأحدث هذا اللقاء وقعًا طيبًا وقتها.

وأيضا بحثت عن رقم تليفون الدكتور أحمد يونس الذى كان كفيفًا وكان يكتب عمودًا فى جريدة الأخبار كنت أقرؤه حيث كان قلمه رشيقًا ساخرًا، واشتهر وقتها بحفل كان يقيمه كل عام يعرف بيوم القمح وذهبت إليه فى بيته فى المهندسين بالقاهرة وأجريت معه لقاءً على موجات إذاعة وسط الدلتا فى برنامجى بسمة أمل، حكى لى فيه عن والده الدكتور عبد الحميد يونس الذى كان أعمى أيضًا وكان رائدًا فى الفن الشعبى، وحكى لى أحمد يونس عن تأثير أمه فى بناء شخصيته. ولعل أهم ما ذكر لى هذه اللقطة الرائعة الفاصلة فى حياته حينما كان بصره يتلاشى وصار قريبًا من العمى، فوقف أمام المرآة وقال للعمى أنت ستقف عندما تغلق عينى عن البصر أما أنا فلن أقف وسأستمر فى نجاحى، وسافر إلى إسبانيا ليحصل على الدكتوراه وليحصل على أعلى وسام يحصل عليه أجنبى يعيش فى إسبانيا.

وبعد فترة أُسند إلى برنامج للشعر العامى يتناول أمور الأسرة، وكان هذا البرنامج ضمن برامج يروج لتنظيم الأسرة، وكُلِّفَ بعض شعراء العامية فى طنطا بالكتابة للبرنامج وكانوا قلة ومستواهم لم يكن على المستوى المطلوب، مما شجعنى على كتابة شىء من هذه الأشعار، خاصة وقد كنت أكتب شعر الفصحى فى محاولات سوف أعرضها فيما بعد.

وتاقت نفسى إلى أستوديو الهواء، هذا الأستوديو الذى يتطلب أن يكون المذيع حاضر الذهن وفى أعلى حالات انتباهه البشرى ليتعامل مع ما قد يحدث من مفاجآت. فكلمت الأستاذ محمد فؤاد المسئول عن مذيعى

الهواء، وبعد مداولات وبعد تدخل الأستاذ صلاح جمال الدين وشهادته لى بخصوص مستواى فى اللغة العربية، وافق الأستاذ محمد فؤاد على النزول لاستديو الهواء، وانطلق صوتى بشعار المحطة «إذاعة وسط الدلتا من طنطا». ومما عجب منه الزملاء وقتها طريقة التقديم التى كنت دائمًا ما أبتكر فيها، فقدمت مثلًا أغنية سعاد محمد «مين السبب فى الحب» بهذه الطريقة وكأننا فى إذاعة الشرق الأوسط: ترى مين السبب فى الحب القلب واللا العين، سعاد محمد تجيب فى هذه الأغنية. لكن الأمر لم يستمر، إذ بعد بضعة أشهر صدر قرار أن أستوديو الهواء تكون لمن صُنفوا كمذيعين، فأبعدت عن أستوديو الهواء وظللت أمسك بميكروفون البرامج التى أقدمها.

وأذكر درسًا لاأنساه مع المخرج الإذاعى الأستاذ «محمد عويس» الذى كان لماحًا وذكيًا ونظيف اليد ويحمل من الجرأة ما يجعل أى مسئول يعمل له حسابًا، عندما اصطحبنى معه للتسجيل مع أصحاب مصانع النسيج فى المحلة الكبرى، وكان الموضوع عن حقوق العمال فى هذه المصانع، وكنا مجموعة وهو قائدها باعتباره مخرجًا وباعتباره الأكثر خبرة، وجلست معه وأمامنا مدير أحد هذه المصانع الذى حاول فى حوارى معه أن يخفى بعض الحقائق التى كنا نعلمها من العمال، وغَيَّر الموضوع حتى لانواجهه بها، فلما رأى الرجل يتملص ويحاول الهروب أمسك الميكروفون بنفسه ودخل فى الحوار وقال للرجل ما يقوله العمال وهدده بأن يأتى بمن قال هذه الشكاوى، فتراجع الرجل ثم نقل لى الميكروفون لأكمل اللقاء. تعلمت من هذا الموقف أنه ينبغى عند وجود المعلومة الصحيحة أن أكون قويًا فى العرض ولا أسمح للضيف أن يأخذنى حيث يريد هو، وأن تكون دفة الحوار فى يدى أتحكم فيها حيث تكون المصلحة.

وأذكر أيضًا أننى قدمت فكرة لبرنامج عن حياة علماء الدين والقراء المحليين فى مدينة طنطا وما حولها، ووجدت أن تدعيم البرنامج بمشاهير القراء يفعل أثره ويزيد نسبة المستمعين إلى البرنامج، فاتصلت بإذاعة القرآن الكريم وقتها وأخذت أرقام تليفونات منازل مجموعة من القراء وافق منهم على التسجيل معى اثنان من مشاهير القراء وقتها؛ فضيلة الشيخ «أحمد الرزيقى» الذى ذهبت إليه وكانت المفاجأة أننى وجدت فى صالة بيته آلة بيانو متوسطة الحجم، فسألته عن ذلك قال إنها عنده منذ زمن وهو يستعين بها فى التعرف على المقامات الموسيقية التى يستخدمها فى قراءة القرآن بحيث تكون خادمة لمعانى القرآن، وأخذ يبين لى فى الآيات التى تتحدث عن العذاب أو النعيم كيف نستخدم المقام الذى يلائم الموقف.

والقارئ الثانى الذى وافق على التسجيل معى هو القارئ الكبير الشيخ «محمود البجيرمى» الذى استقبلنا فى بيته فى حى مصر الجديدة، وقد ولد هذا الشيخ فى قرية بجيرم من مركز قويسنا، وعندما علم أننى من هذا المركز أخذ يحكى عن هذه المنطقة فى الأربعينيات والخمسينيات وكيف كان الحرص على تحفيظ القرآن الكريم، وحكى لى قصته كيف حفظ القرآن فى صغره وأخذ القراءات على الشيخ «العنوسى» ذلك الشيخ العلم فى القراءات فى منطقتنا، وعن قبوله فى الإذاعة وعن زمالته مع كبار القراء كالشيخ «عبد الباسط والشيخ المنشاوى والشيخ الطبلاوى». وبعد انتهاء التسجيل رفض رفضًا قاطعًا أن أمشى أنا وأخ زميل كان معى دون أن نتناول طعام الغداء معه.

تعاملت خلال السنتين اللتين قضيتهما فى وسط الدلتا مع أساتذة كبار ومع زملاء أفاضل ومع ثلاثة رؤساء لهذه الإذاعة؛ الأول منهم أتاح لى

الفرصة لكى يصافح صوتى آذان المستمعين وكان قيمة فكرية بالإضافة إلى قيمته الإذاعية وهو الأستاذ «عبد المجيد شكرى». والثانى لم يكن مهتمًا بالإذاعة ولم يكن عنده ما يعطيه، أما الثالث فكان آية فى الخلق والذوق الرفيع والخبرة الإذاعية الطويلة، أستاذى الأستاذ حمدى بكر ـ رحمه الله ـ الذى كان هادئ الطبع حاسمًا ذو بسمة قاطعة يقطع بها الطريق على من يجادله عندما كان يصدر قرارًا قاطعًا. وعندما تولى إدارة إذاعة وسط الدلتا حظى بالقبول من كل الناس لأنه كان عادلًا فى تعامله زاهدًا فى أية منفعة حاسمًا فى الأمور التى تؤدى عادة للمشاكل فى العمل الإذاعى، ولم يجمع حوله محترفو السطو على آذان ولا صناع النميمة ولا من يبتغى رضا بغير عمل، ومن كان يحاول ذلك معه يخيب ظنه ولا يُشكر سعيه ويعود كاسف البال حزينًا على نفسه.

أقول هذا الكلام لأنى عاصرت قبله قيادتين، الأولى كانت خبيرة بالفن الإذاعى وخاصة الإذاعات الإقليمية، إلا أنه كان ديكتاتورًا لايسمح لأحد أن يناقشه ولا أن يراجعه. أما الثانى فلم يكن له خبرة بالإذاعة مطلقًا وإنما كانت الإذاعة تتحرك ذاتيًا بفعل مجموعة الخبرات والكفاءات من المذيعين ومقدمى البرامج. ثم جاء الأستاذ حمدى بكر لكى يتيح للجميع العمل فى إطار من الإنصاف والعدالة وفى جو من الأخوة أوجدها هذا الرجل الطيب.

وفى نهاية الفترة التى قضيتها فى إذاعة وسط الدلتا كانت علاقتى بالزميل «إبراهيم الإمام»، توثقت العلاقة بيننا بعد اللقاء الأول، ذلك أن الأرواح كما قال النبى ﷺ جنود مجندة ما تلاقى منها ائتلف، ومازاد هذه العلاقة توثقًا وقوةً ورسوخًا هو التلاقى فى أمور كثيرة، فعندما

تتحد النظرة للأخلاق وللدين والالتزام وعندما تتشابه الأسر إذ كان أبوه هذا العالم الأزهرى كأبى تمامًا، وعندما يعيش كل منا فى قلب الآخر ودًا وحبًا واحترامًا، وعندما نعيش أفراحنا وأحزاننا معًا، وعندما نستتر دائمًا بالرضا والقبول، وعندما نعيش الأيام قلبًا على قلب ويدًا حانية على يد، فلابد أن تستمر الأخوة والصداقة ما استمرت الحياة، ومازلنا نذكر عندما كان يأتى إلى بيتنا الريفى ويلبس عباءة أبى السوداء ونذهب لنجلس فى ضوء القمر فى غيطان الذرة تحت أشجار التوت فى زمن لم نكن فيه قد عركنا الحياة ولا الحياة قد نازلتنا العراك.

قضيت فى إذاعة وسط الدلتا سنتين وعدة أشهر، كانت فرصة لى للعمل فى مجال الإذاعة التى تدخل بالميكروفون إلى كل المجالات وكل الفاعليات، والتى تقترب من الناس فى حياتهم بمجموعة من المذيعين الكبار ومقدمى البرامج الذين انتقلوا منها لكى يضيئوا بأنوار أصواتهم وأفكارهم إذاعات أخرى رئيسية. وهذا لايمنع أنه كانت هناك أيضًا حالات لاتصلح أبدًا أن تقف أمام الميكروفون، ليس لجهل فقط ولكن أيضًا لإصرار على هذا الجهل، أحدهم دخلت عليه وقد عينت فى الإذاعة حديثًا فى وسط الدلتا فسمعته يقول: «مجلتنا تنفذ فور صدورها» فطلبت من فنى الصوت أن يوقفه، وقلت له: لاتصلح كلمة «تنفذ» والصحيح «تنفد» بالدال وليس بالذال، وضربت له مثلًا بآية سورة الكهف: «قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربى لنفد البحر...» ورغم هذه الحجة التى لاتُدفع قال لى كلامك صحيح لكنها ـ أى كلمة «تنفذ» ـ أيضًا صحيحة، فلم أَرُد وقطعت خنسًا كما يقول الفلاحون عندنا. وكثير من هذا كان يحدث وأكثر، إذ لم يكن أحد يحاسب أحدًا، كالذى قال مرة فى برنامج

مسجل «أنتم عيشتكم.....» ووصف بكلمة لا يصح أن تخرج على الهواء، والغريب أن مقدم البرنامج هو الذى نطق بها وليس الضيف. ورغم هذه الهنات التى كانت قليلة فقد امتلأت بكل ما لا يمكن لى أن أُحصله فى أية إذاعة أخرى، حيث عملت كما وعدنى الأستاذ عبد المجيد شكرى فى كل المجالات، حتى وصلت إلى مستوى من الإتقان فى العمل والخبرة تؤهلنى لكى أكون مشروعًا لإذاعى يكون له شأن فى قابل الأيام، بشرط أن يأخذ نصيبه الذى فرضه عليه زمانُه وناسُ زمانهِ من النقش على الحجر كى يمد لصوته خطًا فى الفضاء الواسع ليقول ما عنده.

سعيد العيلى.. جسر الوصول

عينى كانت هناك على هذا المبنى الدائرى القابع على كورنيش النيل كإحدى أهم العلامات القاهرية، الذى يبث ليل نهار صورتها، سواء فى الهيئة المرئية أو المسموعه. والعاملون فيه هم نجوم المجتمع الذين ينقلون بأصواتهم عبر الصندوق الخشبى ـ الذى أصبح بعد فترة قصيرة علبة صغيرة ـ صورة مصر والعالم إلى كل من يشاهدهم أو يسمعهم، وكنت أعرف ذلك جيدًا.

لذلك عندما طلب منى رئيس إذاعة وسط الدلتا الأستاذ حمدى بكر أن أذهب إلى القاهرة فى دورة تدريبية هى الأهم فى حياة كل مذيع أو مقدم برامج، وهى الدورة الفنية العامة لمدة ثلاثة أشهر، وجدتها فرصة لاتعوض فى محاولة الوصول إلى هدفى وهو الانتقال إلى إذاعة القرآن الكريم، هذه الأمنية التى قضى عليها مَن صَدَّر إلى شخصى العجز الكامن فى نفسه، وهى فرصة أيضًا لرؤية ما عليه هذا المبنى الذى يتمنى من يعمل فى مجال الإذاعة أن يعمل فيه.

وفى هذه الدورة لم أجد مايمكن أن يكون إضافة حقيقية لمن يبدأون حياتهم الإذاعية، فمعظم المحاضرين كانوا من الإذاعيين القدامى، وكان على كل منهم أن يحكى عن ذكرياته الإذاعية ومغامراته فى السفر وحكاياته مع رؤسائه وزملائه وعن مواقف الميكروفون الحرجة، وهذا مطلوب لكنه لايكفى لمن يبدأ حياته الإذاعية. فهؤلاء يحتاجون إلى دراسة منهجية للإذاعة كوسيلة إعلامية ولطرق التعامل معها والوسائل اللازمة لوصول الرسالة الإعلامية وتأثير هذه الرسالة فى إعداد المستقبلين لها ومحاولة التعرف على أصناف من تصلهم الرسالة وكيف تعد برنامجًا وكيف تقدمه، كل هذا لم يكن موجودًا فى هذه الدورة. ولكن أذكر أننى وزملائى قد استمتعنا كثيرًا باثنين من المحاضرين؛ الأستاذ الدكتور «قدرى حفنى» أستاذ علم النفس فى جامعة عين شمس وأحد أهم خبراء علم النفس السياسى فى العالم، هذا الرجل أبدع معنا فى كيفية التعامل مع الناس على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم ودرجة تعليمهم، وأسهب فى إبراز نقاط الضعف والقوة فى الشخصية الإنسانية، ثم تحدث عن أبحاثه السلوكية الميدانية فى مجال علم النفس تلك التى جاب فيها مصر كلها سواء فى الريف أو المدن.

والمحاضر الثانى الذى أمتعنا وتعلمنا منه كثيرًا كان الصوت الدافئ عبقرى الحس الشاعر والإذاعى الكبير «الأستاذ فاروق شوشة»، الذى كانت محاضراته عن تميز اللغة العربية من حيث الطبيعة، ولايمكن أن أنسى نقاشه معنا حول ماهى اللغة التى يجب أن تسود فى إعلامنا العربى، فاختلفت آراؤنا، بين من يقول باستخدام اللغة العربية الفصحى حتى نحافظ عليها لأن القاهرة هى المركز الذى يتعلم منه الجميع اللغة العربية

الصحيحة، ومن يقول باستخدام لغة الفصحى والعامية بمعنى أن يراعى فيها الحفاظ على مكانة اللغة ومقامها واستخدام ألفاظ وعبارات تكون مفهومة من الجميع، وهذا الرأى كنت من مؤيديه، وانطلق أستاذنا يدلل على هذا الرأى بمجموعة من البرامج التى كانت تذاع بهذا الأسلوب فى بعض المحطات الإذاعية، لكنه استدرك بأن هناك برامج لايمكن أن تطبق فيها هذه القاعدة وهى برامج الشعر والبرامج الثقافية. وقد كان لى شرف استضافة هذا العلم الكبير فى برنامجى «سيرة ومسيرة» قبل وفاته بقليل، وحكى لى قصة برنامجه الأشهر «لغتنا الجميلة» هذا الذى قدمه لكى يُخرج المصريين من نكسة 1967 بتذكيرهم أن لنا تاريخًا مجيدًا ويجب أن نقوم من وهدتنا ونعرف أن تاريخنا فى الشعر يدعو إلى هذا الشعور. وكان مقررًا لبرنامج لغتنا الجميلة دورة إذاعية واحدة مدتها ثلاثة شهور، ولكن لإبداعه فى تقديمه ظل أكثر من خمسين عامًا يغرد فيه للشعر وللأدب وللمعانى التى كانت تجرى على لسانه وكأنها ترياق للسامعين فى أنحاء مصرنا العزيزة.

وفى نهاية الدورة شاء الله أن يأتى بالفرج من عنده، إذ دخل علينا محاضر هو الأستاذ الكبير سعيد العيلى ـ رحمه الله ـ الذى كان قلبًا كبيرًا وروحًا عالية ونفسًا طيبة ولسانًا ودودًا ووجهًا راضيًا، هذه الأوصاف رأيتها عندما رأيته وسمعته، وكان يتحدث معنا عن البرامج الدينية. وعندما تحدث عن الصوفية أسهب واستفاض، وكنت وقتها قد أصابتنى لوثة التسلف التى ترى كل من يخالفها رجزًا من عمل الشيطان وهى المرحلة التى طلقتها ثلاثًا بعد فترة قصيرة، ولكن أصاب الرجل منى شرر هذه الفترة قصيرة النظر عاجزة الفهم المستعلية المستكبرة من حياتى، فقلت

مايفيد كلامه ليس له سند من الحقيقة وأنتم تضحكون على البسطاء، فرد الرجل ببسمة رضا وقال: لى لو جئت لعرفت. وانتهت المحاضرة وذهبت إليه معتذرًا، فأخذنى فى صدره وكان صوته عريضًا فأمطرنى ـ ووجهى مدفون فى صدره ويده على رأسى ـ بوابل صيب طيب من الدعاء، فأحسست أننى فى عالم آخر وشكرته، ثم قلت له أملى أن أكون فى إذاعة القرآن الكريم فسألنى عن مكانى فقلت إذاعة وسط الدلتا، فأخذنى فى نفس اللحظة ونزلنا السلم إلى الدور السابع ثم السادس ثم الخامس ثم اتجه بى مباشرة إلى مكاتب إذاعة القرآن الكريم.

دخلنا مكتب رئيس شبكة القرآن الكريم الأستاذ «محمد الشناوى»، الذى كان شخصية قوية وكان من الإذاعيين أصحاب الشهرة الواسعة فى إذاعة الشعب والإذاعات المحلية والإقليمية، ثم أصبح رئيسًا لإذاعة القرآن الكريم، وكان قصير القامة لكنه كان شخصية قوية يملأ المكان، وكانت له نظراته الحادة خاصة عندما يغضب، وكان ذكيًا جدًّا فى الإدارة ومرهوبًا من كل من يعرفه. فلما دخلنا عليه بادره الأستاذ «سعيد العيلى» وقال له ابننا رضا من إذاعة وسط الدلتا ويريد أن ينتقل إلى إذاعة القرآن الكريم، فسألنى عن المؤهل وعن البرامج التى قدمتها فى إذاعة وسط الدلتا، هنا تدخل الأستاذ سعيد العيلى وشهد لى بسعة الفكر وأن المناقشات فى المحاضرات كانت تدل على ذلك، وقال كلاما فى حقى يقوى ما عند الرجل من قبول. وتابع الأستاذ سعيد العيلى هذا الموضوع حتى نقلنى بنفسه من إذاعة وسط الدلتا إلى إذاعة القرآن الكريم.

وفى اليوم الذى أتيت فيه لأستلم العمل فى إذاعة القرآن عند هذه السيدة التى تفيض أدبًا وحنانًا وعطفًا على الجميع، الحاجة «بشرى عادل»، وكانت تشغل مديرة الشئون الإدارية، استقبلتنى بوجه مستبشر

تعلوه حالة من الرضا الذى أحسسته عندما أخذت تدعو لى بالتوفيق والسداد، ثم قالت إن زميلًا آخر قد استلم عمله قبلك بعدة دقائق وأشارت إليه، فرأيت شابًا أسمر مستطيل الوجه طويلًا يميل جسده إلى النحافة قليلًا يظهر من لون وجهه أنه جنوبى الميلاد والنشأة، أشارت إليه وقالت «عبد المنعم أبو السعود» خريج كلية الإعلام جامعة القاهرة، جاءها من دير مواس بمحافظة المنيا بعد تفوق مذهل فى الثانوية العامة، حيث كان من الأوائل على محافظته، تركه أبوه لميعاد مع أجله وهو صغير فتزوجت أمه من عمه الذى ضمه إلى عياله، فساعد نفسه وكفاها ونبغ رغم كل هذه الظروف، وأضاء له عقله سطور الكتب وفتح له مغاليق الأشياء ومن ورائه قلبه الذى وسع الدنيا حبًا ولم يزره فى حياته حقد ولا استولى عليه طمع ولاتطلعت عينه يوما لما فى أيدى الناس من نعم، بل كان يغبطهم عليها ويتمنى لهم ألا تزول عنهم حتى ولو لم يصبه شىء منها ولا من غيرها. هذا أول من عرفت فى هذه الإذاعة فى أول يوم فيها، وصارت أخوة وصداقة سوف أقف أمام الله وأعترف أمامه أننى ما وجدت قلبًا أطيب ولا نفسًا أزكى ولاروحًا أجمل منه، يعرف هو منى ذلك وأعرفه أيضًا منه رغم ما قد يكون من خلاف بيننا فى الفكر، لكن تبقى القلوب على الحب تلتقى وعلى الذكريات تعيش وعلى حسن الظن تبنى بناء الود الذى لا ينهدم أبدًا...

وها قد بدأنا فى إذاعة القرآن الكريم لكن كيف نبدأ وأنا مازلت على توصيف متابع برامج.. إذًا لابد من رحلة من مراحلى فى النقش على حجر آخر من أحجار الحياة.

حلمى البلك.. ماذا تفعل يابنى؟!

خلال سير المرء فى الحياة، ينبغى عليه أن يكون دؤوبًا يأخذ الأحداث

والمواقف بالجد، لاينام عن عمل يكون لزامًا عليه أن يؤديه، ولا يتخلى عن الإخلاص لحظة، ولا يدع الإتقان يفلت منه أبدًا. وفوق كل هذا لكى يتم النجاح لابد له من وسيلة يُشترط فيها الاستقامة والنظافة والذكاء؛ والاستقامة تتحقق بألا تطلب الحلال بالحرام، والنظافة تكون بألا تختلط بالوسيلة أساليب الثعالب والذئاب التى لا يهمها إلا أن تأكل حتى ولو لحم الجيف، والذكاء هو أن تبحث عن وسيلة للإقناع لايجد فيها الآخر إلا أن يسلم لصاحبها بالحق فيما يطالب به، وليس فيها للخداع مكمن يأوى إليه وإنما ناطقة بالحق الذى تطالب به..

هذا ما حاولت جاهدًا أن أفعله فى هذه المرحلة الصعبة، ففى طنطا عملت فى كل المجالات؛ البرامج ومذيع هواء وفى خارج الإذاعة فى برامج مسجلة، أما هنا فلابد أن أجد لنفسى سبيلًا رسميًا حتى لايعترض أحد وحتى أكون فى مأمن من هؤلاء الذين أقابلهم كثيرًا ممن لايرى فى شخصى شيئًا إلا اليدين القصيرتين القاصرتين، وكأنهما هما وسيلة النطق وليس فمى الذى يحلق فى فضائه لسانى وأحبالى الصوتية التى تشدوا بأنغام الحياة، تلك التى لحنتها على مدار حياة طويلة بقدر طول مسافة العنت الذى لاقته وعاينته نفسى من ظلم بعض الناس ومن إنكارهم لروح الله التى نفخت فى روحى الحياة يومًا ما، هؤلاء كنت أعمل لهم حسابًا لأنهم يجتهدون دائمًا فى أن يوقفوا دوران عجلة حياتى، ففكرت فيما سأفعل.

بعد سعى، قبلت لجنة امتحان المذيعين أن أدخل عليهم مرة أخرى، أو بالأحرى تعتبر هى المرة الأولى، لأننى فى المرة السابقة لم أختبر، وإنما طغى شكلى وهيأتى على الأساتذة الممتحنين فأصدروا القرار دون أن

يعرفوا مَن هذا الشخص؟ ولا كيف يتكلم؟ وماهى ثقافته؟ وهل يصلح أم لايصلح؟ أصدروا حكم الإعدام شنقًا على صوتى أن تتخلل نبراته الميكروفون لتصل إلى أسماع خلق الله. ومن ثم، لابد من الحيلة للحصول على الحق، ولكى أثبت أننى قادر على أن أوشوش الميكروفون بأسرار الكفاءة فى العمل الإذاعى الذى أرى أننى قادر عليه. سألت عن اللجنة التى سأَمْثل أمامها للامتحان فعرفت أن رئيسها هو الرائد الإعلامى الكبير الأستاذ «حلمى البلك»، وكان وقتها رئيسًا لشبكة صوت العرب وكان قارئًا للنشرة فى التليفزيون وصاحب أشهر برنامج تليفزيونى فى هذا الوقت وهو برنامج «ندوة للرأى» الذى كان يتولى فيه العلماء الرد على الشباب ويحاولون أن يصححوا لديهم بعض المفاهيم. وكان من الأعضاء الأستاذ «أحمد رضوان» من الشرق الأوسط و«محمد سناء» من صوت العرب وغيرهم، ففكرت ماذا أفعل؟ وظللت لعدة أيام أفكر كيف يمكن إقناعهم بأن يكون الامتحان امتحانًا حقيقيًا دون النظر إلى الإعاقة وألا تستولى هذه النظرة على حكمهم على أدائى، فقلت لنضرب السهم فى القلب فلو أصابه ربح الصيد، فلأذهب إلى رئيس اللجنة وأحاول أن أقنعه لأنه لو اتسع صدره لكلامى واستطعت أن أهزم عنده شعوره بالعجز تجاهى فهذا أول الطريق، ثم أطلب الامتحان الحقيقى كأى ممتحن،وعندها سأنجح إن شاء الله حتمًا.

وحانت اللحظة الحاسمة عندما سلمت رجلاى للسلم حتى وصلت إلى الدور الثالث واللوحة ذات اللون الذهبى المكتوب عليها «إذاعة صوت العرب»، تركتها عن يمينى وطرقت الباب فقال: أدخل، فوجدتنى وجهًا لوجه مع الأستاذ «حلمى البلك» فى غرفة ليست وسيعة

ولا ضيقة وإنما هى وسط، ويجلس الرجل على كرسى وراء مكتب يغطيه حتى وسطه، ويضع يديه على لوحة طاقم مكتبه الذى يزخر بالورق.

لم أترك للأستاذ حلمى البلك فرصة للتعجب عندما وقعت عيناه على الواقف أمامه، وذلك بأن ألقيت عليه السلام، وجلست دون أن يأذن لى ثم أطلقت لسانى: أنا اسمى رضا عبد السلام من إذاعة القرآن الكريم بعد سنتين فى وسط الدلتا، خريج حقوق 1987 ومن المتفوقين فى كل سنين دراستى وحافظ لمعظم القرآن الكريم ومتقن تمامًا للغة العربية وأكتب الشعر، فأعجب الرجل بالكلام لكن لمحت فى عينيه سؤال لماذا تقول لى هذا الكلام؟ فتابعت كلامى والرجل كله إنصات بدا فى عينيه واسعتين وكأنها تتابع حدثًا فيه حركة، وأضفت: لاتسألنى حضرتك إلى أن أنتهى، وكنت ألبس جاكيت مفتوحًا فخلعته ثم أمسكت به كما أفعل دائمًا أمسك به بأسنانى وأدخل الكم الأيمن ثم أهىء جانبى الأيسر ليدخل فى الكم الأيسر، والرجل مشدوهًا، ثم توجهت إلى القلم وكان فى جيبى بجانب يدى اليسرى فأمسكته بالإصبعين وخلعت منه غطاءه «اللبيسة» ووضعته فى فمى وأخذت ورقة من نتيجة كانت أمامه بشفتى أشدها بسرعة ووضعتها أمامى وكتبت أمام الرجل ـ ومازال الرجل مدهوشًا ـ ثم أمسكت بالقلم مابين إصبعى وأخذت عدة خطوات حتى وقفت بجانبه، وقلت: سأعتبر هذا القلم هو الميكروفون وحضرتك الضيف الذى سأسجل معه وأنت تعلم أن الميكروفون يلتقط الصوت من بعد حوالى خمسين سنتيمترًا، فإذا وضعت الميكروفون هكذا بينى وبينك يكون الصوت ممتازًا وبالتالى لامشكلة، فبادرنى بسؤال وهو فى دهشة: ماذا تفعل يابنى؟

رجعت إلى المقعد أمام مكتب الرجل، وقلت وكأننى أصوب سهمى بعد أن أعددت له كل أسباب النجاح: حضرتك أنا دخلت امتحان قبل ذلك ولم يمتحنونى وأبعدونى عن الميكروفون على الرغم من شهادة الأستاذ «عطية السيد» مدير إدارة التدريب الذى يمكن أن تسأله عن مستواى وعن استيائه من النتيجة السابقة. ثم قلت متسائلًا ومتعجبًا أمام الرجل: لماذا عندما أدخل امتحانًا بالورق لايعلم أحد ورقة مَنْ هذه أتقدم فى الصفوف الأولى، وعندما أُمتحن عيانًا بيانًا يرى كل منا الآخر يدفعونى للوراء لماذا؟ أليس حرامًا؟ وقلت بصوت فيه أسى أمام الرجل وأنا أناديه: يأ أستاذ حلمى امتحنونيييى. ظل الرجل حوالى دقيقتين أو ثلاثة ينظر إلىَّ بنظرة امتزج فيها الإعجاب بالاستفهام بالدهشة ثم سألنى عن وجودى فى وسط الدلتا، فقلت له إننى ظللت فيها عامين وأكثر قدمت فيه كل شىء حتى عملت فى الهواء لفترة، وأملى أن أعمل مذيعًا للهواء، فقال الرجل: إن الهواء مسئولية، فقلت بعفوية أنا عندى المؤهلات لذلك فلغتى سليمة ولدى الصوت وحفظى للقرآن ومعلومات عامة لاحد لها، أتمنى أن تُتاح لى هذه الفرصة، فطمأننى الرجل وقال: «لك هذا سأمتحنك أنا واللجنة دون النظر إلى هذه الظروف» فشكرته بلسانى وأرسَلَت عينَّى إلى عينيه شكرًا لاتحسه إلا العيون.

بعد هذا المشهد الإنسانى المؤثر، لم أرتح إلا على الكرسى أمام مكتب الأستاذ «حمدى بكر» وكان يومها رئيسًا لإذاعة فلسطين، وقلت له ما حدث بينى وبين الأستاذ حلمى البلك، فبارك هذه الخطوة وذهب إلى الأستاذ حلمى فى مكتبه وجاءنى بكلمات واضحة أنه اقتنع تمامًا وأنت أمامك فرصة لاتعوض لأنه سيقدم لك فى اللجنة وسيذكر ما حدث

بينك وبينه وستكون نتيجة الامتحان هى الفاصلة. خرجت من مكتب الأستاذ حمدى قد امتلأت نفسى فرحًا وسعادةً لكن أصابنى بعض الخوف من بعض أعضاء اللجنة من خلال كلام زملائنا عنهم، ولكن توكلت على الله ورجعت إلى مصادرى فى النحو فراجعتها جيدًا، وملأت نفسى ثقة فى الله ومعى دعاء والدى والمحبين من أصدقائى.

وفى اليوم التالى، دخلت أستوديو 46 الكبير وجلست على الكرسى، وجاءنى صوت الأستاذ «حلمى البلك»: إقرأ يا رضا النشرة، فلما نطق اسمى أحسست بمزيد من الثقة فقرأت الخبرين الأوليين، ثم قال: إقرأ خبرًا من الإجيبشان جازيت فقرأت سطرين منها، ثم قال: إقرأ قرآن فقرأت بعض الآيات، ثم قال إقرأ شعر وكان أمامى ديوان شعر ولكنى قرأت من ذاكرتى أول قصيدة ولد الهدى:

وُلد الهدى فالكائناتُ ضياءُ
وفمُ الزمان تبسمٌ وسناءُ
الروحُ والملأُ الملائك حوله
جبريلُ والدنيا به بشراء
والعرشُ يزهو والحظيرة تزدهي
والمنتهى والسدرة العصماء

هنا نادانى الأستاذ حلمى البلك وقال: تعال يا رضا..

فاستبشرت خيرًا لأنى فى المرة الأولى لم أدخل عليهم، فلما دخلت رأيت ضمن لجنة الامتحان الأستاذ «عطية السيد» فزادنى ذلك ثقة، فكان أول سؤال من الأستاذ حلمى بعد أن مازحنى أولًا قائلًا: ما حال اللغة العربية معك، قلت: تمام، فقال: اعرب بسم الله الرحمن الرحيم

فقلت: الباء حرف جر، واسم اسم مجرور بالباء وعلامة الجر الكسرة، الله لفظ الجلالة مضاف إليه للتعظيم مجرور بالكسرة، والرحمن الرحيم صفتان نعتان مجروران بالكسرة تبعًا للفظ الجلالة. ثم سألنى الأستاذ «محمد سناء» وكان وجهه عابسًا وعيناه ترسلان شررًا يدل عن عدم الرضا وسألنى: لماذا سُمِيَّ حافظ إبراهيم بشاعر النيل؟ وكأننى أردت أن أرد على وجهه العابس وعينيه الغاضبتين وقلت: أنا عندى الأعمال الكاملة لحافظ إبراهيم وفى مقدمتها أنه سُمى بشاعر النيل لأنه ولد على مركب أو ما تُسمى «ذهبية» على النيل. ثم نظر إلىَّ الأستاذ «أحمد رضوان» بوجهه الأبيض المشرب بحمرة الممتلئ الجاد، ولكنه قدم لسؤاله ببسمة خفيفة ورقيقة: قل لى يا رضا تعرف إيه من مؤلفات شكسبير؟ فقلت: وليم شكسبير شاعر إنجليزى كبير من أهم مسرحياته «روميو وجوليت وهاملت وتاجر البندقية»، فنظر إليهم الأستاذ أحمد وكأنه يقول لهم شيئًا من خلال نظرته تلك. وفى نهاية الامتحان قال لى الأستاذ «عطية السيد»: تصور أنك مذيع سوف تنقل لنا صلاة الجمعة من أحد المساجد الكبرى وأنا أعرف أنك تريد أن تكون مذيعًا فى إذاعة القرآن الكريم ـ وكأن الرجل أراد أن يعضد موقفى معهم ـ انطلقت بما جاد به الله علىَّ حينئذ، ثم نظر إلىَّ الأستاذ حلمى البلك ووجهه يخرج منه تفاؤل رأيته فى عينيه الراضيتين عندما قال لى: اتفضل يا ابنى.

خرجت وأنا أحس بالفرق الشاسع بين الامتحان، الأول وهذا الامتحان ورأيت كيف وفَّى الأستاذ حلمى البلك بوعده وكيف تم امتحانى كما وعد، لكن هل سيستمر الأمر وتنتهى عملية الامتحان بنتيجة لا يتحكم فيها أحكام مسبقة من نظرات العجز التى أتعبتنى وأرهقتنى،

وجعلتنى فى صراع دائم من أجل إثبات أننى قادر على فعل ما أستطيع فعله، ويجب ألا يحال بينى وبين تحقيقه، لأن من أشد أنواع الظلم أن تسلب إنسانًا حقه الطبيعى فى المحاولة وألا تعطى له الإمكانات اللازمة لبلوغ غايته التى قد تسعده وتسعد الناس معه، دون أن تُطلق عليه سهام اليأس أو تضربه بسيوف العجز المتوهم..

وبعد عدة أيام ظهرت النتيجة بحصولى أنا و«عبد المنعم أبو السعود» على أعلى الدرجات، ومازالت هذه النتيجة فى ملفى الوظيفى فى إذاعة القرآن بهذه العبارة «يصلح مذيعًا للهواء بإذاعة القرآن الكريم».

يا الله بعد كل هذا العناء والتعب، بعد حوالى ثلاث سنوات من ضياع حقى، بعد الشتات فى طنطا، بعد الليالى التى كنت أكلم فيها نفسى وأتساءل لماذا لا أحصل على حقى. ها قد عدت منتصرًا بفضل الله وبفضل دعاء أبى الذى كان معى ردءً يدفعنى ويرفع عنى أوهام اليأس الذى يراود نفسى أحيانًا، بإيمانه بأننى إنسان خلقه الله بإمكانات لابد أن يستخرجها من نفسه، وذكرنى وقتها عندما راوده عقله أن يقابل فهمى عمر رئيس الإذاعة منذ ثلاث سنوات لأنه كان مؤمنًا بى وبقدراتى التى ركبها الله فى شخص ولده الذى خبره جيدًا، وأثبتت الأيام بعد ذلك أنها ثمينة وأنها حقيقة وأنها صوت قوى يملأ الآفاق بشعار أول محطة إذاعية للقرآن فى العالم. ولقد كانت هذه التجربة من أبى تجاهى هى الهادى لى فى تعاملى بعد ذلك مع عبد الرحمن ابنى الذى أدركت قدراته جيدًا، فنفخت فيه روح الثقة بالنفس وأعددت له كل مايتاح من إمكانات وتعاهدنا سويًا على التوكل على الله، ففتحت له كلية الطب أبوابها وهذا له حديث آخر.

أقيمت الأفراح لهذا الخبر الذى كان معظم من حولى قد يئسوا من تحقيقه، وها هو قد تحقق ليُفتح أستوديو الهواء لأول مذيع فى العالم بهذا الشكل، لكن هل سيفتح الأستوديو بسهولة أم هو دأب صاحبنا لابد من العنت حتى يحصل على حقه وحتى تحقق أمنيته بأن يكون إنسانًا كامل الإنسانية.

صالح مهران وكمال بشر وهالة الحديدى

بعد رحلة طويلة أصبحت مذيعًا للهواء فى إذاعة القرآن الكريم، وكان الاحتفال بى احتفالًا كبيرًا، وظننت أن عملى فى إذاعة وسط الدلتا سيفتح لى مباشرة بابًا لميكروفون الإذاعة على الهواء، لكن لابد من دورة إذاعية مكثفة تهىء مذيع الهواء من حيث اللغة والتعامل مع الميكروفون والتعامل مع مفردات الأستوديو وكيف يتعامل بصوته فى المواد الإذاعية المختلفة، فقراءة المادة الإخبارية غير قراءة المادة الدينية غير المنوعات، وكيفية تقديم الإذاعات الخارجية المختلفة، فتقديم الإذاعة الخارجية لصلاة الجمعة غير تقديم إذاعة خارجية لأمر سياسى أو عسكرى أو منوعات كالأغانى أو غيرها. ومَثَّل هذا كله موضوعات الدورة التى كانت تسمى «الدورة المكثفة للغة العربية والإلقاء».

كان يدرس لنا اللغة العربية فى هذه الدورة العلامة الكبير الأستاذ الدكتور «كمال بشر» عضو مجمع اللغة العربية الذى كان يعطينا شهد اللغة العربية وكيفية نطق الحروف والكلمات بأسلوبه الذى كان علامة عليه ـ رحمه الله ـ حيث كان ينادى أيًا منا «يا ولد» و«يابنت»، وكانت هذه إحدى سمات التعامل مع تلاميذه فى الإذاعة والتى تشعرهم بقربهم منه.

ولا أنسى أنه قال مقولتين هى بالنسبة لى ولإذاعة القرآن شرف كبير، فالأولى أنه صرح بأنك إذا أردت أن تتعلم اللغة العربية الصحيحة عليك أن تستمع إلى مذيعى إذاعة القرآن الكريم، سواء من حيث نطق الحروف أو من حيث سلامة اللغة العربية، أما المقولة الثانية فهى بمثابة عقد من الشرف أعلقه ماحييت فى عنقى من هذا العلامة الكبير حيث قال لى: لم يحصل منى على امتياز فى اللغة العربية من المذيعين سوى اثنين، الأستاذ «أمين بسيونى» الرائد الإذاعى بصوت العرب وأمين عام اتحاد الإذاعة والتليفزيون بعد ذلك والأستاذ «فاروق شوشة» الشاعر الكبير ورئيس الإذاعة الأسبق، وأنت الثالث، وأهدانى هدية فى نهاية الدورة عبارة عن كتاب مترجم عن فقه اللغة العربية كتب على صفحته الأولى إهداءً رقيقًا ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة.

وكان يدرس لنا الإلقاء الإذاعى الرائد الإذاعى الكبير الأستاذ «صالح مهران»، هذا الذى كان ضمن جيل حمل على عاتقه صورة الإعلام المصرى فى أوائل الستينيات، وقد حكى لنا كيف يتم العمل فى الإذاعة، وكيف كان هؤلاء الأعلام يعملون فى ظروف شديدة الصعوبة وخصوصًا فى الإذاعات الخارجية الخاصة بالرئاسة أيام عبد الناصر، وموقف نقله هو وزملاؤه لجنازة عبد الناصر وكيف كانوا يقسمون المسافة بين بعضهم البعض وكيف يسلمون الميكروفون كل منهم للآخر، ورسم لنا صورة للإذاعة المصرية فى ذلك الوقت، وكيف كان الإتقان هو ديدنهم، لذلك فقد خلفوا تراثًا إذاعيًا فريدًا. ولا أنسى مناقشاتنا الفكرية معه ودخولنا معه فى قضايا متعلقة بالنظرة إلى الكون، حيث كان يلقى بعض التساؤلات التى تجعل العقل يبدع فى التفكير ويسعى

للتأمل للوصول إلى الحقيقة. وقد حظيت من سيادته بالامتياز كما حدث مع العلامة الدكتور كمال بشر.

أما الشخصية الثالثة فكانت الأستاذة الكبيرة «هالة الحديدى»، هذا الصوت الذى يتمتع بمرونة تجعله يقرأ المادة الإخبارية بمنتهى الجدية والمهارة؛ استقامة لغوية وأداءً جادًا وصوتًا معبرًا عن الخبر بأستاذية لامثيل لها. ومن عجب أن نفس هذا الصوت لهذه المذيعة المتفردة عندما يقدم برنامج «ألحان زمان» تجد السلاسة كسلاسة النغم السارى وتجد الهدوء الذى يناسب برنامجًا يتحدث عن المقامات الموسيقية والطقاطيق والأدوار وعن أعلام الموسيقى والغناء، هذا البرنامج الذى يعتبر من علامات الإذاعة المصرية والذى كان يعده المؤلف والمؤرخ الموسيقى «محمود كامل»، رحمه الله. تعلمنا من الأستاذة هالة الحديدى فى هذه الدورة قراءة المادة الإخبارية، كيف تبدأ الخبر، وكيف تُلقى موضوعه على المستمع وكيف تُنهى الخبر. وكان يصاحب ذلك أيضًا مراجعة للغة العربية الصحيحة وكيفية نطق الكلمات الأجنبية والتأكد من الاسم الأجنبى من مصدره حتى تكون أكثر مصداقية. وكان مما تؤكد عليه أن القرآن الكريم له قراءة إذاعية غير الترتيل أو التجويد المعروف، بمعنى أنك عندما تقرأ آية فإنك تبرز المعنى بطريقة الأداء، فليس المهم الترتيل وقواعده وإنما المهم توصيل المعنى بطريقة الأداء، وكانت تنصحنا بأنه يجب على المذيع المشتغل بالإذاعة أن يتدرب على قراءة القرآن بهذه الطريقة لأن فيها توظيفًا لكل ما فى الفم من قدرات. وكان معروفًا عنها الشدة فى المعاملة، وكان الذى يخطئ يتعرض للحرج، ولكنها كانت تعاملنى معاملة يتمناها كل من كان معنا فى هذه الدورة، وما زالت تفيض على

شخصى بهذه المعاملة الكريمة من تلميذ لها تعلم فى مدرسة رائدة إعلامية وإذاعية كبيرة.

غير هؤلاء ممن كانوا فى هذه الدورة كانوا يأتون ليحكوا لنا عن ذكرياتهم الإذاعية التى غالبًا ما تكون مدحًا فى صاحب هذه الشخصية الذى يحاضر، إلا ماكان من محاضرات اللغة العربية التى كان يدرس قواعدها بعض المتخصصين فيها.

بعد هذه الدورة المهمة والتى لابد لأى مذيع هواء أن يحصل عليها، نزلت على جدول المذيعين لأول مرة، وكان اسم يُطلق على زميل أقدم منى هو الزميل صاحب الخلق الرفيع أخى الكبير الأستاذ «رضا خفاجى» فأُشير لى فى الجدول باسم عبد السلام، وكان يُكتب الاسم وحوله قوسان دلالة على أن صاحب الاسم مذيع تحت التدريب. وسعدت جدًّا بهذا لأن القدر أراد أن يرد الفضل لأهل الفضل وهو أبى ـ رحمه الله ـ فى جدول المذيعين الذى تزين إلىَّ الآن باسم أبى، مشيرًا إلى من تمتع فى حياته وسعد بقلبه الكبير. وكان الاستقبال لى من معظم الزملاء استقبالًا طيبًا، فيه كثير من الاحتفاء، ومن قلة كانت هناك بعض الريبة وكانت تظهر فى النظرات أو أحيانًا فى كلمات عارضة لكن كانت هناك شخصية من الشخصيات أعلنت استياءها الواضح من تعيينى مذيعًا للهواء وأبدت تبرمًا واضحًا، هذا الشخصية تحولت بعد ذلك تمامًا.. لكن ما سبب هذا التحول؟ وكيف حدث؟ هذا له حديث آخر مع أستوديو 18 أستوديو الهواء فى إذاعة القرآن ونقش آخر على حجر من أحجار الحياة.